كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الحادية عشر

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة العربية: المرابطين والموحدين واثرهم في اتساع نطاق الاسلام في السودان الغربي

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة الإنكليزية: The Almoravids and the Almohads and their impact on the expansion of Islam in Western Sudan

محتوى المحاضرة الحادية عشر

المرابطون الصنهاجيون وأثرهم في اتساع نطاق الاسلام في السودان الغربي

قبائل صنهاجة الصحراوية:

قبائل كثيرة منهم جدالة ولمتونة ومسوفة وجزولة وهسكورة، وقد عرف عنها في التاريخ انها كانت تتقاسم الصحراء الغربية فيما بينها منذ قرون طويلة. فقبائل جدالة كانت تسكن المنطقة الغربية منذ أمد بعيد، ولا سيما المناطق المتطرفة من هذه الصحراء التي تحاذي المحيط الاطلسي. اما قبائل لمتونة فقد كان نصيبها القسم الأوسط من الصحراء الغربية. وفي القسم الشرقي من هذه الصحراء كان مساكن قبائل مسوفة الصنهاجية، اما جزولة وهكسورة فكانت تسكن الحافات الشمالية للصحراء الغربية . اطلق العرب على قبائل صنهاجة الصحراوية اسم الملثمين، لان رجال صنهاجة كانوا يرتدون اللثام الذي اصبح ميزة لهم، وكان استخدام الجمل في الصحراء الغربية قد مكنهم من التجارة مع بلاد السودان حيث يبادلون الملح الذي يستخرجونه من صحاريهم بمنتجات السودان. كانت اولى الصلات بين العرب وسكان الصحراء الغربية فقد بدأت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، حيث استطاع، وكما اشرنا سابقا، القائدان العربيان عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير من ايصال الجيش العربي الى مناطق وادي درعة في الصحراء الغربية. ومثلت هذه الحملات اللقاء الاول بين العرب المسلمين والصنهاجيين سكان الصحراء. واستمرت صلات العرب بهم بعد ذلك، . وكان للنشاط التجاري العربي عبر الصحراء الغربية اثر كبير في لقاء العرب مع صنهاجة وايصال الاسلام اليها، بخاصة ان القوافل التجارية الصحراوية، كما سبقت الاشارة الى ذلك، كانت تمر بمراكز استقرار الصنهاجيين في الصحراء حيث تتزود بالماء والطعام كما ساهم الصنهاجيين قد اسهموا مع العرب في التجار مع بلاد السودان فعملوا كمرشدين وادلاء للقوافل التجارية المارة عبر صحرائهم كما فصلنا سابقا. اما فيما يخص قبائل صنهاجة نفسها، فقد استطاعت في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ان تنظم نفسها في اتحاد صحراوي ضم عدد من القبائل الصنهاجية منها لمتونة ومسوفة وجدالة، وعهدت رئاسة هذا الاتحاد لقبائل لمتونة الصنهاجية. والذي يبدو من النصوص التاريخية الوسيطة المتوفرة لدينا ان الهدف من هذا الاتحاد هو حماية المصالح التجارية لقبائل صنهاجة. وفعلا نجح . هذا

الاتحاد من السيطرة على المركز التجاري المهم أودغست الواقع في نهاية الخط التجاري الصحراوي الغربي الذي يربط المغرب الاقصى ببلاد السودان الغربي، بعد ان كان تحت سيطرة مملكة غانة الاسلامية

اهتم اللمتونيون حكام مدينة أودغست في القرنين الثالث والرباع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، اضافة الى تنشيط حركة التجارة بين السودان والمغرب، بنشر الاسلام بين السودانيين المجاورين لهم من ناحية الجنوب. فالملك تين يورتان بن ويسفو بن نزار الصنهاجي كان شديد التحمس لنشر الاسلام بين السودانيين الخاضعين لسلطته، ويقال انه اخضع اكثر من عشرين ملكا من السودان لنفوذه . ولكن تفكك روابط الحلف بين صنهاجة ادى الى ان تنتهز غانة الفرصة وتبسط سيطرتها على أودغست مرة اخرى عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٠م.

بيد ان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي قد اتاح فرصة جديدة لقبائل صنهاجة الصحراوية، ومن بينها لمتونة، لان تبرز على المسرح السياسي والاقتصادي، وكانت هذه الفرصة قد تمثلت بالحركة المرابطية التي قدر لها ان تؤدي دورا كبيرا في امتداد الاسلام الواسع في السودان الغربي.

المرابطون الصنهاجيون:

ان الدفعة القوية التي ادت الى تقوية الوجود العربي وانتشار الاسلام الواسع بين شعوب افريقيا الغربية، ومن ضمنها السودان الغربي، تعود الى نجاح المرابطون في السيطرة على الصحراء الغربية والانتصار على دولة غانة الوثنية السودانية بل ان جيوشهم بلغت معظم مناطق السودان الغربي.

بدأت نشأة هذه الحركة فقد بدأت في زمن آخر رئيس للاتحاد الصنهاجي الصحراوي وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي. فقد ذهب يحيى الى الحج في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وفي طريق عودته لقي في مدينة القيروان (مركز الثقافة العربية الاسلامية المهم في بلاد المغرب) احد اشهر الفقهاء فيها وهو "ابو عمران الفاسي". وفي محاضرة الفاسي في جامع القيروان شعر يحيى بن ابراهيم الجدالي بمدى الجهل الذي هو عليه وقبائل لمساعدة في تعليمه وقومه مبادئ الاسلام الصحيحة. ولما لم يجد الفاسي احدا من طلبته في القيروان يرغب في الذهاب الى الصحراء مع يحيى بن ابراهيم والقيام بمهمة الارشاد الديني فيها، اشار عليه بالذهاب الى بلاد السوس حيث يقيم احد طلبه ابي عمران الفاسي. وبعد وصول يحيى بن ابراهيم الى بلاد السوس (في المغرب الاقصى) التقي بوجاج بن زلوا اللمطي، وكان صاحب مدرسة دينية تدعى بـ " دار المرابطين " وطلب منه مساعدته بموجب توصيه الفاسي، فرشح وجاج احد طلبته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي، ليكون معلما ومرشدا للصنهاجيين الصحراويين.

وصل عبد الله بن ياسين بصحبة يحيى بن ابراهيم الى مناطق قبائل جدالة الصحراوية في الصحراء الغربية، وبدأ عمله في الاصلاح الديني لبربر الصحراء. ولكن الذي يبدو ان تعاليم ابن ياسين كانت ثقيلة على القبائل الصنهاجية فرفضته ولكن ابن ياسين. استطاع بتوجيه من استاذه وجاج في السوس الثبات ومواصلة العمل. وتمكن اخيرا ان يجمع حوله اتباعا مخلصين وان ينعزل في جزيرة في ساحل المحيط الاطلسي. ونجح فعلا في ان يجمع حوله اكبر عدد ممكن من الصنهاجيين وسماهم " بالمرابطين " كما نجح وبصورة تدريجية في ان يكون منهم قوة ضاربة خرجت بحركة هجومية شملت مناطق واسعة من الصحراء الغربية، فاخضع جميع قبائل صنهاجة لسلطته، وارشدهم الى تعاليم الاسلام، وكان قائد جيشه في هجومه هذا هو يحيى بن عمر رئيس قبيلة لمتونة الصنهاجية .

ومما لا شك فيه ان مؤهلات ابن ياسين المتعددة مكنته من النجاح في عمله مع قبائل صنهاجة الصحراء. فقد كان اصلا من قبائل صنهاجة (من جزولة)، فهو اذن عارف بلغتهم وتقاليدهم مما سهل عليه امر التفاهم معهم، فضلا عن انه كان ذا طموح ورغبة شديدتين في الذهاب الى هذه المنطقة، مما ساعده على النجاح في خلق الحركة المرابطية.

في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد بدأت الطموحات السياسية للمرابطين تظهر فعليا، حيث اتجهت القبائل الصنهاجية شمالا لتخضع المغرب الاقصى لسيطرتها. وفي الوقت نفسه استطاعت الدخول الى مدينة سجلماسة المركز التجاري المهم الواقع في بداية الطريق التجاري الصحراوي الغربي) والقضاء على سلطة قبائل زناتة فيها .

اما في الجنوب فقد استطاع المرابطون في عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وبقيادة ابن ياسين الدخول الى مدينة اودغست (المركز التجاري المهم الواقع في نهاية الطريق التجاري الصحراوي الغربي) واخضاعها الى سلطتهم وانهاء هيمنة مملكة غانا الوثنية عليها، وقد كان خضوع اودغست مر أخرى للمرابطين بعد ان استعادتها المملكة الاخيرة يمثل الخطوة المهمة لدخولهم الى السودان الغربي . في الشمال استمرت عمليات المرابطين، حيث استطاع الجيش المرابطي بعد ان سيطر نهائيا على سجلماسة التوجه الى السوس والهيمنة عليه. وفي هذا الاثناء توفي يحيى بن عمر. فتولى قيادة المرابطين العسكرية اخوة ابو بكر بن عمر. توجه المرابطون بعد ذلك لمهاجمة قبائل برغواطة البربرية التي كانت تسيطر على القسم الغربي من المغرب الأقصى، وفي اثناء القتال معها توفي عبد الله بن ياسين ، فانتقلت القيادة السياسية الى أبي بكر ابن عمر | الذي نجح في القضاء النهائي على برغواطة، وقاد المرابطين من نصر الى نصر. وفي اثناء هذه الانتصارات وصلت الاخبار الى ابي بكر من الصحراء، بان نزاعا قد نشب بين

قبائل صنهاجة (بين لمتونة وجدالة)، فما كان من ابي بكر الا ان توجه ومعه نصف الجيش المرابطي الى الصحراء، تاركا قيادة المتبقي من الجيش المرابطي في الشمال لابن عمه يوسف بن تاشفين.

وفي الصحراء استطاع ابو بكر بن عمر القضاء على النزعات بين قبائل صنهاجة المختلفة. ثم بدا بقيادة حملات ناجحة ضد ممالك السودان الغربي.

ويعود الفضل الى ابي بكر قيادة المرابطين للقضاء على مملكة غانة السودانية عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، حيث وصلت جيوشه الى معظم مناطق السودان الغربي. ومن الجدير بالاشارة ان المرابطين لم يكونوا اول من ادخل الاسلام الى السودان الغربي، بل ان العرب المسلمين قد وصولا الى تلك البقاع منذ وقت مبكر مع القوافل التجارية الصحراوية كما سبقت الاشارة الى ذلك. ولكن سقوط غانة على يد المرابطين ادى الى انتصار الاسلام السياسي في منطقة السودان الغربي اولا، كما نجح المرابطون ثانيا في اجبار اسرة غانة السوننكية الحاكمة على اعتناق الاسلام وبالتالي الى قيام هذا الأسرة بنشر الاسلام بين الشعوب السودانية التي تحكمها، كما سنفصل ذلك فيما بعد. ولذا يمكن القول ان للمرابطين فضلا في عملية الاسراع في مهمة تحويل الزنوج في السودان الغربي الى الاسلام وبالتالي الى وصول الحضارة العربية الاسلامية بصورة واسعة الى تلك المناطق.

لا بد بعد ذلك كله كلمة مختصرة عن نشاط الجناح الشمالي للمرابطين، الذي استطاع تحت امرة يوسف بن تاشفين من اخضاع المغرب الاقصى كله ثم التقدم الى المغرب الأوسط، حيث وصل نفوذ المرابطين الى ما وراء مدينة الجزائر. كما ابتنى يوسف ابن تاشفين عاصمة للمرابطين هي مدينة مراكش فكان بحق مؤسس الدولة المرابطية ولقد اقترن اسم يوسف بن تاشفين بفتوحاته في الاندلس حيث استطاع ان يعيد الاندلس الى السلطة العربية، بعد ان كادت تتعرض للانهيار .

ولقد استمر اولاد ابن تاشفين هذا في جهودهم العسكرية في المغرب والاندلس لتوطيد وتوسيع رقعة سيطرة المرابطين واقامة دولة اسلامية قوية في القسم الغربي من بلاد المغرب. واستمر الحال هكذا الى ان ظهرت في منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد حركة جديدة تدعى بـ " الحركة الموحدية " ضمت قبائل مصمودة البربرية المناوئة لقبائل صنهاجة ـ التي استطاعت اخيرا القضاء على الدولة المرابطة وتأسيس الدولة الموحدية واخضاع المناطق التي كانت تابعة لسلطة المرابطين الى نفوذها ومن ضمنها السودان الغربي. ولا بد من القول ان انتشار الاسلام في منطقة السودان الغربي قد أدى الى قيام دول اسلامية كبرى في المنطقة ادت دوراً كبيراً في تثبيت الاسلام والحضارة العربية والاسلامية في مناطق النيجر والسنغال، وسنحاول ان نلقي الضوء على هذه الممالك في الصفحات التالية.